

أحاديث رمضان ١٤٣١ - أمثال القرآن الكريم - الدرس (٢٠-٣٤) : قال تعالى ( إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم .... )  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٠-٠٩-٠٢.

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

### الإنسان يعيش بقيم و بحركة نحو خالق السماوات والأرض :

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في آيات الأمثال، والآية اليوم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* مَثَلٌ مَّا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٦-١١٧]

أيها الأخوة الكرام، الإنسان قد يسعى إلى جمع المال، وقد يتوهمه في مقبل حياته شيئاً عظيماً، لكن في منتصف الحياة يتحقق أنه شيء وليس كل شيء، يقول السيد المسيح: " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"، الإنسان يعيش بقيم، يعيش بمبادئ، يعيش بأهداف نبيلة، يعيش بحركة نحو خالق السماوات والأرض، لذلك:



ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

\*\*\*

والآية الدقيقة:

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾

[سورة فاطر: ٢٢]

هذا مقبور في شهوته، وهناك آية ثانية:

## ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ ﴾

[ سورة النحل: ٢١ ]

وآية ثالثة:

## ﴿ إِنَّهُمْ إِيَّاكَ كَالنَّعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[ سورة الفرقان: ٤٤ ]

وآية رابعة:

## ﴿ كَانَتْهُمْ خَشْبٌ مُسْتَدَّةٌ ﴾

[ سورة المنافقون: ٤ ]

وآية خامسة:

## ﴿ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ \*فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾

[ سورة المدثر: ٥٠-٢١ ]

شأن الكافر الذي ما عرف الله، وعبد شهوته من دون الله، واتخذ إليه هواه، هذا إنسان تنطبق عليه هذه الآية:

## ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾

[ سورة آل عمران: ١١٦ ]

أي حقيقة الحياة دقيقة جداً، هذا القلب إذا توقف، عندك أراض أسعارها فلكية، عندك بيوت، ومعامل، ومركبات، عندك مكانة، كل هذه الدنيا متوقفة على نبض القلب، توقف القلب كل هذا الذي باسمك وبملكك ليس لك.

## في الموت موعظة لو علمها الإنسان لارتعدت فرائصه :

لذلك أيها الأخوة، الإنسان إن لم يؤمن فهو مقامر ومغامر، كل مكتسباتك، وكل مكانتك، وكل هيمنتك، وكل سلطتك، منوط بضربات القلب، توقف القلب انتهى كل شيء، أصبحت خيراً على الجدران



أنا سألت خبراء قالوا لي: في بالشام باليوم يوجد مئة وخمسين وفاة، وهذا الموت بين أيدينا، أي إنسان ملء السمع والبصر، أحياناً من باب التعليقات المؤثرة يتوفى إنسان نذهب للتعزية، تجد بيت شيئاً نفيساً جداً، الرخام، الطلاء، المناظر، الأثاث، أنا أتساءل وأنا في التعزية من اختار هذه الثريات؟ من اختار هذه التزيينات؟ من اختار هذا

الأثاث؟ المرحوم، أين المرحوم؟ تحت الأرض، والله أيها الأخوة في الموت موعظة لو علمها الإنسان لارتعدت فرائصه، الله عز وجل يصف فيقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٦]

ورد في الأثر: " أن روح الميت ترفرف فوق النعش — هذا إذا كان منحرفاً تائهاً، شارداً — تقول : يا أهلي، يا ولدي، لا تلعبين بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حلّ وحرّم، وأنفقتة في حله، وفي غير حله، فالهناء لكم والتبعة علي".  
وهناك تنمة لهذا الأثر: "... فو الذي نفس محمد بيده، لو يرون مكانه — ملك الموت يقول هذا — ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم".

### من أدخل الموت في حساباته فهو في طريق النجاة :

أنت لاحظ إنساناً توفاه الله، تسمع كلام من حوله، مسكين مات، هذا المتكلم سوف يموت أيضاً، لأن:

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والـجبروت  
والليل مهما طـال فلا بد من طلوع الفـجر  
والعمر مهما طـال فلا بد من نزل الـقبر  
\* \* \*

وكل ابن أنثى وإن طالت سلامت ه يوماً على آلة حـدباء محمول  
فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم أنك بعدها محمول  
\* \* \*

لذلك كان هناك رجل صالح، حفر قبراً في بيته في صحن الدار، وكان يضطجع فيه كل يوم خميس، وينلو قوله تعالى:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ \* نَعْلِي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

فيخاطب نفسه ويقول: قومي لقد أرجعناك .

إذا أدخلت فكرة الموت في حساباتك اليومية، أو إذا أكثرت من ذكر الموت، هادم اللذات، مفرق الأحباب، مشتت الجماعات، تكون في طريق النجاة،



سألوا طالباً نال الدرجة الأولى في الشهادة الثانوية، ما السبب الذي جعلك من المتفوقين؟ أنا دقت بإجابته الدقيقة جداً، ماذا قال؟ قال: لأن لحظة الامتحان لم تغادر مخيلتي طوال العام، من أول يوم بالدوام الامتحان أمامه، وأنا أقول لكم: والله قبل أن تتطرق بكلمة هل هذه الكلمة ترضي الله؟ قبل أن تصل هل هذه الصلة ترضي الله؟ قبل أن تقطع هل هذه القطيعة ترضي الله؟ قبل أن ترضى هل هذا الرضا يرضي الله؟ قبل أن تغضب، قبل أن تعطي، قبل أن تأخذ، إن كنت بطلاً في كل عمل تعمله اسأل نفسك هذا السؤال: هل الله راض عني في هذا العمل؟ في هذا العطاء؟ في هذا المنع؟ في هذا الغضب؟ في هذا الرضا؟ في هذه الصلة؟ في هذه القطيعة؟

### العمل الصالح رفيق الإنسان الوحيد في القبر :

لأن بالنهاية عمل غير المؤمن:

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾

[ سورة الفرقان: ٢٣ ]



شيء صعب، إنسان يؤسس مشروعاً ويموت، من أجل نجاحه، وبعد أن ينجح يصادر منه، شيء صعب جداً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ ﴾

[ سورة آل عمران: ١١٦ ]

من أجل المال كذب، من أجل المال نافق، من أجل المال ترك الصلاة، من أجل المال فعل الموبقات، أحياناً يأتي

مندوب شركة، صاحب الشركة في البلد يعتني به عناية بالغة جداً، وقد يسمح له أن يقترف أكبر المعاصي، وقد يأتي له بالمشروبات الكحولية إرضاء له، فالإنسان من أجل الدنيا أحياناً يرتكب الموبقات، جاءت الآية هنا:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾

[ سورة آل عمران: ١١٦ ]

كل هذه الأموال يتركها ويمشي، وينزل في القبر وحده، حتى بعض أقاربه يمشون في جنازته، والنساء في البيت، إذا وضع في القبر لا ينزل معه أحد إلا عمله الصالح، فإن كان هذا العمل كريماً أكرمه، وإن كان لثيماً أسلمه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٦]

الموت نهاية كل شيء :

والله أيها الأخوة نهاية الإنسان أكبر موعظة، الموت ما الموت؟ ينهي قوة القوي، وضعف الضعيف، ووسامة الوسيم، ودمامة الدميم، وصحة الصحيح، ومرض المريض، ينهي كل شيء، يكون عنده آمال، عنده أحلام، عنده أهداف، عنده واقع غني ممتلئ، تتوقف القلب أصبح خبيراً، كنت مرة بسفر في أثناء عودتي أنا على نافذة



الطائرة رأيت نعشاً خرج مع البضاعة، هذا ذهب إلى هذا البلد مسافراً، ركب طائرة، وقد يكون راكب درجة أولى، رجع بضاعة معها وثائق وموافقات، فكل واحد منا سوف يكون بضاعة في يوم من الأيام، إنسان له أولاد، له زوجة، له محل تجاري، له وظيفة، الآن إنسان له هيمنة، وله قوة، وله سيطرة، تتوقف القلب أصبح خبيراً على الجدران.

اعتماد القرآن الكريم على قيمتي العلم و العمل فقط للترجيح بين البشر :

أيها الأخوة الكرام، الآن آية المثل:

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة آل عمران: ١١٦-١١٧]

أي مشاريعه، إنجازاته الكبيرة، بميزان الشريعة لا شيء، البطولة أن تأتي مقاييسك وفق مقاييس القرآن، القرآن اعتمد قيمتين فقط، اعتمد قيمة العلم، واعتمد قيمة العمل، قال تعالى:

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

[سورة المجادلة: ١١]

واعتمد قيمة العمل فقال:

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

[سورة الأنعام: ١٣٢]



لا يوجد بالقرآن من قيم مرجحة بين بني البشر إلا قيمة العلم وقيمة العمل فقط، عندنا قيم مرجحة أخرى اصطلاحاً عليها الناس؛ الوسامة، الذكاء، الغنى، المنصب الرفيع، هذه كلها قيم لكن بين بني البشر أما عند خالق البشر فهناك قيمتان لا ثالث لهما، هناك قيمة العلم وقيمة العمل، لذلك إنجازاته الضخمة، أعماله الكبيرة، هذه الإنجازات وهذه

الأعمال عند الموت لا وزن لها، مرة سمعت عن أحد أكبر أغنياء العالم، عنده يخت في البحر، ففي نزهة انقطعت أخباره كلياً، هو كان من أكبر تجار الأسماك، فانقطعت أخباره كلياً لمدة أسبوع أو أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، هناك إنسان عمل تعليقاً قال: أطعم الناس طوال حياته السمك فأكله السمك، كلمة واحدة، لذلك:

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٦-١١٧]

الصر: ريح ونار، والصر: ريح وصقيع، والمعنى الثالث ريح وصوت لا يحتمل، أحياناً أصوات الرعد مخيفة جداً، العلماء اعتمدوا هذه التفسيرات الثلاث إما نار محرقة، أو برد مميت، أو صوت لا يحتمل:

﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَّتِ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٧]

أشد أنواع الظلم أن يظلم المرء نفسه وأشد أنواع الخسارة أن يخسر الإنسان الآخرة:

إذا:

﴿ وَهَلْ نَجَايَ إِبْنَا الْكُفُورِ ﴾

[سورة سبأ: ١٧]

آية دقيقة جداً، والآية الثانية :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ  
وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾

[سورة النساء: ١٤٧]



﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٧]

الحقيقة أشد أنواع الظلم أن يظلم المرء نفسه:

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة الزمر: ١٥]

وأشد أنواع الخسارة أن تخسر الآخرة، الإنسان يمرض، يموت، إلى الجنة فرضاً، يعيش حياة فيها فقر، يموت، إلى الجنة، كل مصائب الدنيا تنتهي عند الموت، لكن الكفر يبدأ الحساب عنه بعد الموت، لذلك سيدنا علي رضي الله عنه قال: "الغنى والفقر بعد العرض على الله".  
كل مصائب الدنيا تنتهي عند الموت، وكل تبعات الكفر، والمعاصي، والآثام، تبدأ عند الموت.

**والحمد لله رب العالمين**